مكتبة الطفل العربي

١٤

البطلُ الصَّغير

مجدي صابر

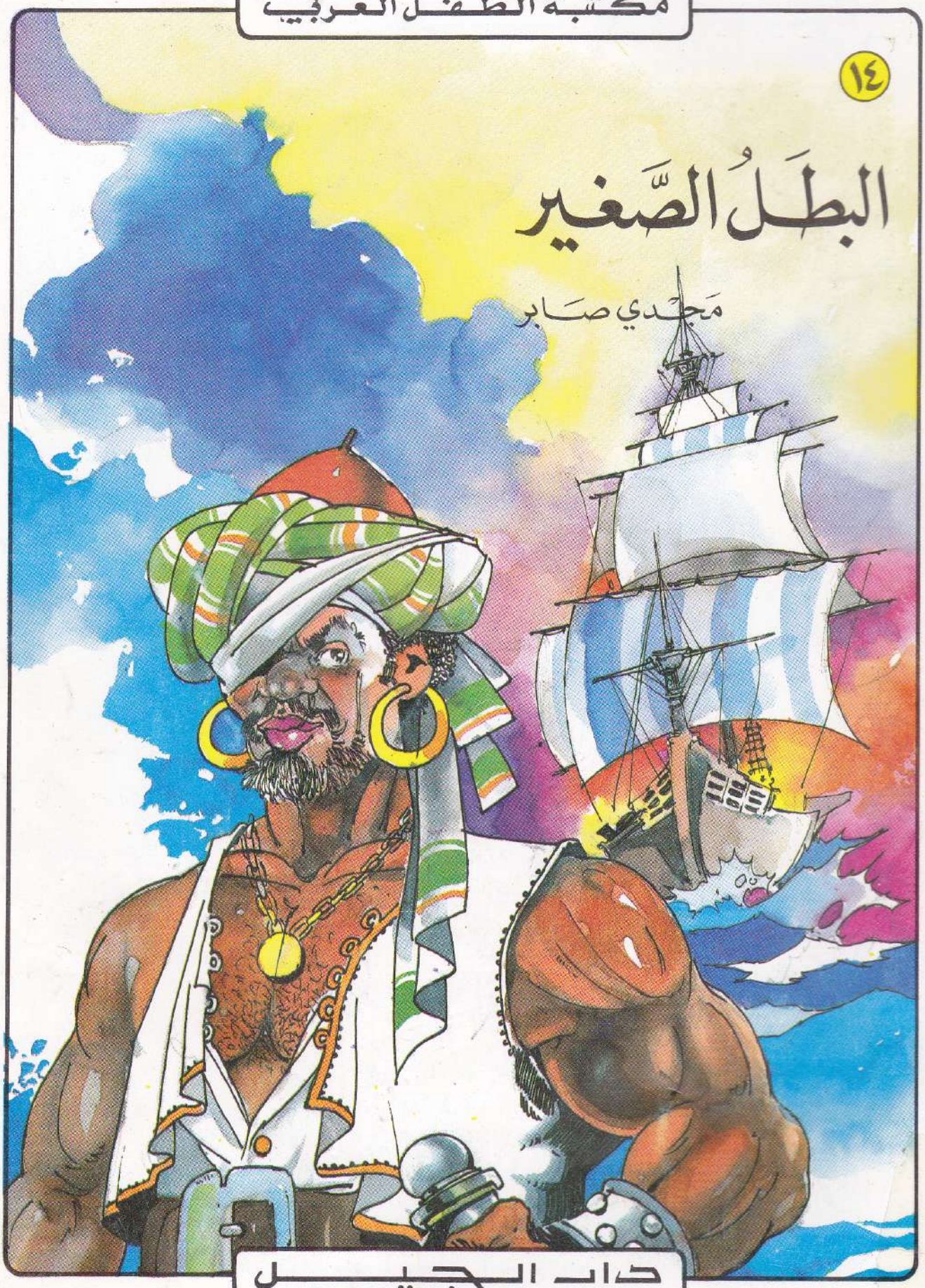

دار الجيل

ق
ص ب

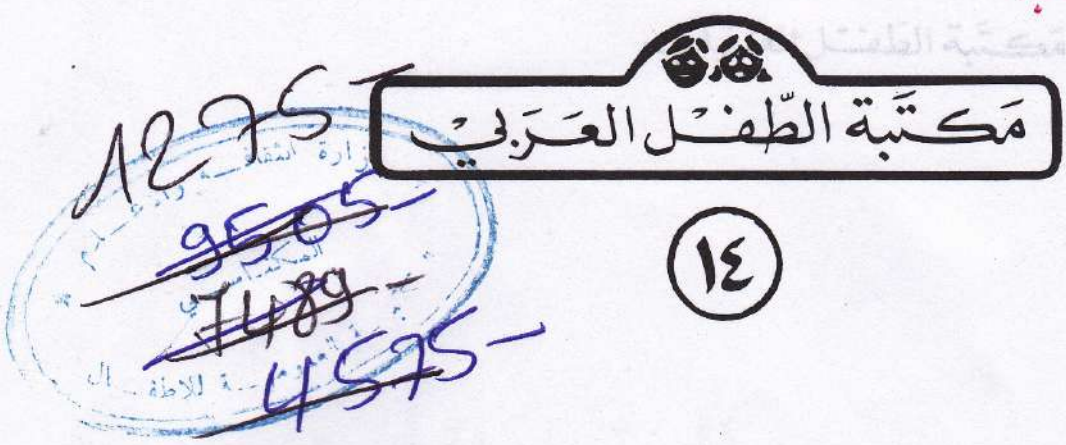

1295
9505
T489
4595

البطَلُ الصَّغير

تأليف
مَجدي صَابر

دار الجيل
بيروت - القاهرة - تونس

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

تأليف : مَجدي صابر

هي مجموعة جديدة وشيقة من قصصِ الأطفالِ ، كُتبتْ بأسلوبٍ أدبيٍّ ممتاز، يمتزجُ فيها الخيالُ مع الواقع . . والحلمُ مع الحقيقة ، لتصنَعَ عالماً أخاذاً مُبهراً ، يناسبُ عقلَ وسِنَّ قارئِها الصغيرِ ، ويَفتح أمامَ عينيه أبواباً لا حصرَ لها من المعرفةِ والقِيَمِ التربويةِ والأخلاقِ النبيلةِ .

ونحن نفخرُ بأن تؤدي هذه المجْمُوعةُ القَصَصِيّةُ المَكْتوبةُ والمُخْتارةُ بِعنايَةٍ بالِغةٍ ، الغَرضَ منها تماماً ، وتُحاوِل أن تَسدَ بعض النّقصِ في مكتبةِ الطّفلِ العربيّ ، دونَ أن تَسْتهينَ بِعقلهِ ، أو تَتَخطى قِيَمه وعاداته .

ونَأملُ أن نَكونَ قد حَقَّقْنا الهَدَفَ الّذِي نَرْجُوه من إصْدارِنا لهذه المَكتبةِ ، وأن تَحْتلَ قِصَصُها مكانها اللائق في مكتبةِ كلّ طفلٍ عربيّ .

البطلُ الصَّغير

عاشَ تاجِرٌ فِي إحْدَى مُدُنِ فارِس، وكانَتْ لَهُ تِجارَةٌ واسِعَةٌ ومالٌ كَثيرٌ، فحَمدَ اللَّهَ على نِعْمتهِ، وتَصدَّق مِنْها عَلَى كلِّ فَقيرٍ ومُحْتاجٍ، حتَّى أحبَّهُ أهْلُ المَدينَةِ حُبًّا كَبيراً. وزادَ الله لَهُ فِي بِضاعتِهِ وتِجارتِهِ وصحّتِه.

وكَان لِهَذا التّاجِرِ آبْنةٌ جَميلَةٌ، شَديدةُ الحُسْنِ، فاتِنَةُ الجَمالِ، أسْماها «شيريهان»، وربَّاها عَلَى جَميلِ الخِصالِ وكَمالِ الأدبِ والأخْلاقِ، فكُلُّ مَنْ رآها سبَّحَ الله عَلَى آكْتِمالِ صُنعِهِ، وكلُّ مَنْ آسْتَمعَ إلَيْها أو ناقَشَها، أُعْجِبَ بِرجاحَةِ عَقْلِها وتَمامِ أدَبِها.

وكانَتْ «شيريهان» كآلْبَدْرِ المُنيرِ فِي اللَّيْلةِ المُظْلمَةِ، فإذا سارَتْ مع والِدِها وسطَ الدُّروبِ أو الأسْواقِ، تَطلَّعَتْ إلَيْها العُيونُ مُعْجَبةً بِجَمالِها، مَبْهورَةً بِحُسْنِها.

وكَانَ لِلتّاجرِ الثّريِّ آبْنٌ صَبيٌّ شَقيقٌ «لِشيريهان»، وكانَ صبيًّا ذَكيًّا، شَديدَ الجُرْأةِ واسِعَ الحيلَةِ بِآلرّغْمِ من أنّ عُمرَه لَمْ يَزِدْ عن عَشْرِ سَنَواتٍ، وكانَ آسْمهُ «حَسَن». وكانَ والِدُهُ يُعِدُّه لِيَرِثَ مالَهُ وبِضاعتَهُ منْ بَعْدِهِ، وَيَأْخذُهُ مَعهُ فِي رحلاتِهِ، ويُشْركُهُ فِي صفَقاتِهِ، ويُعْلِمُهُ بِحساباتهِ، بِآلرّغمِ مِنْ سنِّهِ الصَّغيرَة. ولَكِنَّ عقْلَ «حَسَن» الذَّكيِّ كانَ يَسْتوعِبُ كلَّ ذَلِكَ، ويُبْدي مِنَ الآراءِ ما يُدهِشُ والِدَهُ، ويُحَيِّرهُ.

وكانَ النّاسُ يَحْسدونَ التّاجِرَ الثَّريّ، فِي غيرِ كُرهٍ، عَلَى جَمالِ آبْنتِهِ، وذكاءِ ولِدِه، وكثرَةِ مالِهِ، فكأنَّ السَّعادةَ كلَّها آكْتَملَتْ لَهُ.

وذاتَ يَوْمٍ نزلَ إلَى المَدينَةِ، قادِماً منَ البَحْرِ، رَجُلٌ شَديدُ السَّوادِ، بَشِعُ الخِلْقةِ، وجْههُ مَليءٌ بِآلجرُوحِ والنُّدوبِ، وأنْفهُ أفطَسُ، ومَشْقوقُ الشَّفةِ السُفْلى، ويضَعُ عَلَى عَيْنهِ اليُمْنى

عِصابةً، ويتمنطَقُ فِي وَسطِهِ بِحزامٍ، يَتدلَّى مِنْهُ سَيْفٌ مُرصَّعٌ بِٱلجَواهِرِ واللآلئِ، ووكانَ لَهُ الكثيرُ مِنَ الأتباعِ، مِمّنْ هُمْ عَلَى شاكلَتهِ، يَبْدو الإجْرامُ فِي مَلامِحهِمْ، وتَبينُ الجُرْأةُ عَلَى وجُوهِهِمْ، ويَحْمِلونَ كلُّهم السُّيوفَ والبُلَطَ فِي أحْزمَتِهِمْ، ويُنْفِقونِ مِنَ المالِ الكثيرَ الكَثيرَ، كأنَّ سيّدَهُمْ وزيرٌ أو عَظيمٌ.

ولَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الرَّجلُ الأسْودُ إلاَّ قُرْصاناً مُجْرِماً، خارِجاً عَلَى القانُونِ ويُدْعَى «القُرْصانَ الأسْودَ»، وَكانَ يَمْتلِكُ وعِصابَتهُ مِنَ المُجْرمينَ سَفينَةً كَبيرَةً سَريعَةً، تَنْطلِقُ فِي البَحْرِ كأنّها سَهمٌ، وتزُوغُ مِنَ العاصِفةِ كأنَّها شبَحٌ، وتنقضُّ عَلَى السُّفُنِ الأُخْرَى كأنّها صاعِقةٌ. فقَدْ كانَ القُرصانُ الأسْودُ وعِصابتُهُ مِنَ القَراصِنَةِ، مِنْ أخْطرِ منْ عَرفَتهُمْ البِحارُ البَعيدَةُ مِن المُجْرمينَ، إذْ كانُوا يَكمنُونَ لِلسفُنِ المُحمَّلةِ بٱلبَضائِعِ والمالِ، بَيْنَ الخلْجانِ وأرْكانِ البِحارِ، ثُمَّ ينقضُّونَ عَلَيْها فِي غَفْلَةٍ، ويَمطرُونَها بِرصاصِهمْ وطَلَقاتِ مَدافعِهِمْ، فَيحِلُّ الاضطرابُ بٱلسَّفينَةِ المَنكوبَةِ، وتوشِكُ عَلَى الغَرقِ، فَتُسْرِعُ عِصابةُ القُرصانِ الأسْودِ إلَى ٱقْتِحامِها، ويَسْتَولونَ عَلَى ما بِهَا، ويَقتلُونَ مَنْ فِيها، ويَتركُونَ السَّفينةَ تغرَقُ مُحترِقةً، ويَفرُّون بِغنيمَتِهِم.

وكانَ القُرْصانُ الأسْودُ يَزورُ تِلكَ المَدينةَ الفارِسيةَ لأوّلِ مَرَّةٍ، قادِماً مِنْ بِلادٍ بَعيدَةٍ، ولِذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْهُ أحَدٌ مِنْ سُكّانِ المَدينَةِ، أوْ يُدركوا خطَرَهُ، وشرَّ عِصابتِه.

عِنْدَ الظُّهرِ راحَ القُرْصانُ الأسْودُ ورِجالُهُ، يَسيرونَ فِي الأسْواقِ، يَبيعُونَ بَعضَ ما غَنِمُوه مِن معارِكِهم السَّابقةِ، عِنْدَما وقَعَتْ عَيْنُ القُرْصانِ الأسْودِ البَشِعِ الخِلْقةِ عَلَى «شيريهان»، وكانَتْ تَسيرُ بِصحْبَةِ والِدِها فِي السُّوق.

وعِنْدَما شاهَدَ القُرْصانُ الأسْودُ آبْنَةَ التّاجرِ الحَسْناءَ، فَتَنَهُ جمالُها وأسرتْهُ رقتُها وعُذوبَتُها.

وقالَ لِرجالِهِ مَبْهوراً: «ما أجْملَ تِلكَ الفَتاةَ، فإنَّني لَمْ أُشاهِدْ مَنْ هِيَ أجْملُ مِنْها أبَداً، فِي كُلِّ البِلادِ الَّتي زُرْناها، والسُّفنِ والمَراكِبِ الَّتي نَهَبْناها».

وعَبثَ بِلِحيتِهِ الخَشنةِ القَبيحَةِ الشَّكلِ وقالَ: «سأتَزوّجُها، وسأدْفَعُ لأبيها مِنَ المالِ والجَواهِرِ ما يَملأُ مائةَ سَلَّةٍ، وأيُّ رَجُلٍ عاقِلٍ لا يُمْكِنُ أنْ يَرفُضَ مِثْلَ هَذا القَدْرِ مِنَ المالِ، ثَمناً لِزواجِ آبْنتِه».

وآتَّجهَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى حانُوتِ والدِ «شيريهان»، وكانَتْ هِيَ بِـآلدَّاخِـلِ، وعِنْدَمـا شاهَـدتِ القُرْصـانَ الأسْودَ، هـالَها مَنـظَرُهُ وأَفْزَعَتْهَا بَشاعَةُ خِلْقَتِـهِ، ولَمْ تَحْتمِلِ النـظَرَ إِلَيْهِ، فـأسْرَعَتْ إِلَى أَحَدِ أَرْكانِ المَتْجرِ، وآخْتَفتْ عَنِ الأَنْظار.

وسألَ التَّاجِرُ القُرْصانَ: «ماذَا تُريدُ يـا سيِّدي، وأيَّ نَـوْعٍ مِنَ البضاعَةِ تَرغَبُ فِي شَرائِه؟»

أجـابَـهُ القُـرْصـانُ بِغـلاظـةٍ: «لَقـدْ جِئْتُ لِشـراءِ آبْنتِـكَ الجَميلَةِ».

بُهِتَ التَّاجِرُ وقالَ غاضِباً: «ماذا تَقـولُ أيُّها الـرَّجلُ، وهَـل آبْنَتي جارِيةٌ لِلبَيْع ؟»

أجـابَهُ القُـرْصانُ: «إنَّني أرغَبُ فِي الـزَّواجِ مِنْها، ومَهْمـا طَلَبْتَ مِنْ مـالٍ فسأهبـهُ لَكَ، ولَـوْ كانَ مـائةَ سلَّةٍ مِنَ الجَـواهِـرِ والذَّهبِ واللآلئِ».

صـاحَ فيهِ التَّـاجِرُ بِغضَبٍ أشـدَّ: «أُخرجْ مِنْ دُكَّـاني أيُّهـا الوقِحُ وإلَّا آستدعَيْتُ لَكَ الشُّرطَةَ، فـإنَّني لا أزوجُ آبْنَتي مِنْكَ، ولَوْ جِئْتَ لِي بِكُلِّ لآلئِ وجَواهِرِ العالَم».

غَضِبَ القُرْصانُ الأسْودُ، وغلَتِ الدِّماءُ فِي عُروقِهِ، وخَرجَ مِنَ الحانُوتِ بِدُونِ أنْ يَنطِقَ، وأرْسلَ رِجالَه فِي كُلِّ الأنْحاءِ يَسْتَقصونَ ويَسْألونَ. فَعادُوا بَعْدَ وَقْتٍ وأخْبَروا رئيسَهمْ، أن التَّاجِرَ الثَّريّ، لا يُريدُ أنْ يزوجَ آبْنتَهُ إلاَّ مِنْ أميرٍ، ولَوْ كانَ فَقيراً.

فَصمتَ القُرْصانُ ولَمْ يَنطِقْ، وأمرَ رِجالَهُ، فَعادُوا إلَى سَفينتِهِمْ، وغادَرُوا المَدينَةَ فِي نَفْسِ اللَّيْلَة.

* * *

وبَعْدَ أيّامٍ قَلِيلَةٍ كانَ يَزورُ المَدينَةَ أميرٌ عَظيمٌ، قادِمٌ مِن بِلادٍ بَعيدَةٍ هُوَ الأميرُ «عز الدِّين»، ورسَتْ مَراكبُهُ وسفنُهُ عَلَى شاطئِ المَدينَةِ، بعدَ سفَرٍ طَوِيلٍ. وأرادَ الأميرُ الرَّاحةَ أيّاماً قَليلَةً، قبلَ معاودةِ السَّفرِ والإبْحارِ عَائِداً إلَى بِلادِهِ، جِهةَ الشَّمال.

وذاتَ صَباحٍ كانَ الأميرُ يتريَّضُ عَلَى الشَّاطِئِ وحْدَهُ، وشاءَ حظُّه أن يُصادِفَ «شيريهان»، وقَدْ خَرجَتْ تَفْعَلُ نَفسَ الشَّيءِ، فقدْ كانَتْ تُحِبُّ أن تُشاهِدَ شُروقَ الشَّمسِ مِنَ الشَّاطِئِ كُلَّ صباحٍ.

وعِنْدَما وقعَ بَصرُ الأميرِ «عز الدِّين» عَلَى «شيريهان»، خلَبتْ لبَّهُ، وأسرتْ قَلْبَهُ، ولَمْ يَستطِعْ أنْ يُحوِّلَ عَيْنيهِ عَنْها لِشدَّةِ جَمالِها، فآرتَبكتْ «شيريهان» وعادَتْ إِلَى مَنْزِلِها فِي خَجلٍ، وقَلْبُها يدقُّ فِي آضْطرابٍ.

وأرْسلَ الأميرُ الرسُلَ، فَعادوا بِآلأَنْباءِ، عَنْ فتاتِهِ الَّتي أحبَّها مِنَ النَّظْرَةِ الأُولى، وعَنْ والِدها، الَّذي لا يَرغَبُ فِي تَزويجِها إلاّ مِنْ أميرٍ، ولَوْ كانَ فَقيراً.

سرَّ قلبُ الأميرِ «عز الدِّين» وقالَ: «ها قَدْ جاءَ الأميرُ الَّذي سَيَتزوّجُ سِتَّ الحُسْنِ والجَمالِ، ولَكنَّهُ لَيْسَ أميراً فَقيراً، بَلْ أميراً ثريًّا كَرِيماً، لَمْ تَشْهدِ البِلادُ مَنْ هُوَ فِي مَجدِهِ أو عَظمته».

وفِي الحالِ سيّرَ مَوْكِباً إِلَى بَيْتِ التَّاجِرِ، قِوامهُ ألفُ جَوادٍ، تَحمِلُ فوقَ ظُهورِها الهَدايا والنَّفائِسَ والجَواهِر. وتقدَّمَ الأميرُ «عز الدِّين» طالِباً يدَ «شيريهان»، فسَعدَ والِدُها وآستشارَ آبنَتهُ، فَوافقتْ فِي الحالِ، فقدْ مالَ قَلْبُها أيْضاً إِلَى الأميرِ منذُ اللَّحْظةِ الأُولَى.

وخطبَ الأميرُ «عز الدِّين» مَحبوبَتَهُ «شيريهان»، وأقامَ لَيْلَةً عظيمَةً، دَعا إلَيْها كُلَّ أهْلِ المَدينَةِ، وٱسْتضافَهُمْ عَلَى نَفقَتِه، وأطْعَمهُمْ وسَقاهُمْ، حتَّى تحدَّثَ كلُّ النَّاسِ عَنْ كَرمِهِ ومُروءَته.

وبَعْدَ مُرورِ عِدَّة أيَّامٍ، قالَ الأميرُ لِخَطيبَتِهِ: «إنَّني مُضْطرٌّ لِلسَّفَرِ فِي الحالِ، فبِلادي لا تَحْتمِلُ وجُودي بَعيداً عَنْها، ولِذَلِكَ سأسبِقُكِ إلَى هُناكَ، فأُعِدَّ قَصْراً فاخِراً يَليقُ بِك، وأُهَيِّئَ لَنا كُلَّ ما يَلزمُ لِلزَّواجِ».

أجابَتهُ «شيريهان»: «سَوْفَ ألْحَقُ بِكَ بَعْدَ شَهْرٍ، أكونُ قضيتُهُ فِي تَوْديعِ والِدي. وبَعْدَ قَليلٍ رفَعَتْ مَراكِبُ وسفُنُ الأميرِ «عز الدِّين» مَراسيَها، عائِدَةً إلَى بِلادِها، بَعْدَ أن طلَبَ الأميرُ، مِن قائِدِ بَحارَتِهِ وضبَّاطِهِ، أنْ يَبْقَى فِي سَفينَةٍ عَظيمَةٍ لَهُ، قِوامُها مائَةُ ضابِطٍ وخَمسمائةِ بَحَّارٍ، لِيَكُونُوا فِي خِدْمةِ خَطيبتِهِ، فترحَل عَلَى السَّفينَةِ عِنْدَ ٱنْقضاءِ الشَّهْر.

* * *

ومرَّ الشهْرُ سَريعاً، فٱستعدَّتْ «شيريهان» لِلسَّفَرِ، وٱصْطحبَتْ مَعَها أخَاها «حَسَن»، لِيَكونَ سميرَها فِي سَفرِها

وأنيسَها فِي رِحْلتِها، وأوْصَى الوالِدُ ولدَه «حَسَن» قائِلاً: «فَلْترعَ أختَكَ أثناءَ الرِحْلةِ، حتَّى تصِلَ إِلَى بِلادِ خَطيبِها الأميرِ سالِمَةً آمِنَةً».

أجابَهُ «حَسن»: «لا تَخْشَ شَيْئاً يا والِدِي، وآعْتمِدْ عَليَّ».

وركبَتْ «شيريهان» وأخُوها سفينَةَ الأميرِ، ولوَّحا لِوالدِهِما مودِّعينَ، والدُّموعُ فِي عَيْنَيْهِما، ثمَّ أبْحَرتِ السَّفينَةُ وغادَرتْ شاطِئَ المَدينَةِ إِلَى البَحْرِ العَظِيمِ، جِهةَ الشَّمال.

وسألَ «حسَن» قائِدَ السَّفينةِ عَنْ مَوعدِ وصُولِهِمْ إِلَى بِلادِ الأميرِ فأجابَهُ: «إذا ساعَدتْنا الرِّياحُ وحالَةُ البَحْرِ، يُمكنُنا أنْ نَصِلَ خِلالَ شَهْرٍ».

سألَهُ «حَسن»: «وهَلْ يمكِنُ أن يحدُثَ ما يعطِّلنا؟»

أجابَهُ القائِدُ: «قَدْ تهبُّ الرِّياحُ أحياناً، أو تَثورُ العَواصِفُ فَيتأخَّرُ وصُولُنا أيّاماً، ولَكِنْ لا خَوْفَ عَلَى سَفينَتِنا مِنَ العَواصِفِ والزّوابِعِ مَهْما كانَتْ، لِأنَّ سَفينَتنا كَبيرَةٌ قويّةٌ، تتحمَّلُ أعتَى العَواصِفِ والأنْواء».

ومـرَّتِ الأيامُ الأولَى مِنَ السَّفَـرِ فِي البَحْرِ بِـلا سُوءٍ، فَـلا رِياحَ قَويّةً، ولا عَواصِفَ ولا أنـواءَ، بَلْ كـانَتِ الشَّمْسُ ساطِعَـةً لَطيفَةً، والبَحْرُ هادِئاً كَرِيماً، والرِّيحُ رقيقَةً ناعِمةً.

وذاتَ نهارٍ كانَ «حَسن» يصيدُ بِصنارتِهِ مِنْ مكانِهِ فِي ظَهْرِ السَّفينَـةِ، عِنْدَمـا شاهَـدَ دُلفيناً صَغيـراً، لا يَزيـدُ طولـهُ عَلَى مترٍ وعمرهُ عامانِ، يَسبَحُ آمِناً مُطْمَئنًّا بِجوارِ السَّفينةِ منذُ الصَّباحِ كأنّه يرافِقُها أوْ يُرشِدُها.

وألْقَى عَلَيْـه أحَدُ البَحَّـارةِ الشِّباكَ فـآصْطادَهُ، ورفَعَـهُ إِلَى سَطحِ السَّفينَةِ، فَتجمَّعَ حَوْلـهُ البَحَّارةُ والضُّبـاطُ مُبْتهِجينَ. وقالَ البَحَّار الَّذي آصْطادَ الدُّلفينَ: «فَلْنسـرعْ بِذَبْحِـهِ وسَلْخهِ وشيِّـهِ، فإنَّ لَحمَ الدَّلافينِ لَذيذُ الطَّعْمِ يَمنحُ الصِّحَّةَ لِمنْ يأْكلهُ».

وكـانَ الـدلفينُ الصَّغيــرُ المِسْكينُ يُـطلِقُ صَيْحـاتِ ألمٍ خـافِتـةً، وهُـوَ سَجينٌ وسطَ الشِّبـاكِ، وتـطلُّ مِنْ عَيْنيـهِ نَـظراتٌ مَذعُورَةٌ. فأسْرعَ «حَسن» نَحْوَ البَحَّارِ وقالَ لَهُ غاضِباً: «هَـلْ أنْتَ قاسِي القَلْبِ إِلَى هَذا الحَدِّ، إنَّ الدلافِينَ مَخلُوقاتٌ رَقيقَةٌ طيِّبةٌ، وهِيَ رَفيقةٌ للإِنْسـانِ ولَيْسَتْ كَبقيَّةِ الأسْمـاكِ كَما تَقـولُ القِصصُ والحِكاياتُ، فَلا يصحُّ ذَبْحُها وأكْلُها».

إعْترضَ البَحَّارُ وأصرَّ عَلَى ذَبْحِ الدُّلفينِ أو تَقاضِي ثَمنهِ، وقالَ مُحْتجًّا: «ما هُوَ إلَّا سَمَكةٌ كَبقيَّةِ الأسْماك». فَخلعَ «حَسن» خاتماً ثَميناً مِن يَدِهِ وأعْطاهُ لِلبحَّارِ ثَمناً للدُّلفينِ، ثمّ حملَهُ فوقَ ذراعَيْهِ وربتَ عَلَيْه وقالَ لَهُ: «لا تَخْشَ شَيْئاً أيّها الدُّلفينُ الطيِّبُ، سوْفَ أعيدُكَ إلَى والِدَيْكَ ومَمْلَكتكَ فِي البَحْر».

وألْقَى «حَسن» بِالدلفينِ فِي الماء. وما إنْ لامَسَهُ، حتَّى غاصَ فيهِ سَريعاً، ثُمَّ أطلَّ بِرأسهِ بَعْدَ لَحْظةٍ وأخذَ يُطلِقُ صَيْحاتٍ حادّةً كأنّهُ يَشْكرُ «حَسَن»، ثمَّ راحَ يَقفِزُ قَفزاتٍ بَهْلوانيَّةً عَجيبَةً فِي الهَواءِ كأنَّما يَفْعلُ ذَلِكَ تَحيةً لِمنقذِهِ، ثمَّ غاصَ فِي الماءِ ولَمْ يظهَرْ بَعْدَ ذلِكَ.

وبَعْدَ قَليلٍ جاءَ أحَدُ الضُّباطِ إلَى القائِدِ، وقالَ لَهُ قَلِقاً: «سَيِّدي القائِدُ، إن هُناكَ سَفينَةً كَبيرَةً تَتبعُنا مُنْذُ خُروجِنا مِن المِيناء».

قالَ القائِدُ: «لَعلَّها مُسافِرةٌ إلَى نَفْسِ وِجهَتِنا، ولِذَلِكَ تتْبَعُنا عَنْ بُعْدٍ».

وألْقَى نَظْرةً بِمِنْظارِهِ المقرِّبِ، فَشاهَدَ سَفينَةً كَبيرَةً لا تَحْمِلُ عَلَماً، ولا يُوجَدُ فَوقَ سَطْحها غَيْرُ عَددٍ قَليلٍ مِنَ

البحَّارةِ، لا يثيرُ مَنْظَرُهُم الاشْتباه. فَقالَ: «إنّها تَبْدُو سَفينَةَ بَضائِعَ عائِدةً مِن رِحْلَةٍ تِجاريَّةٍ، فَلا تَخشَوْا شَيْئاً مِنْها».

وٱسْتَمرَّتِ السَّفينَةُ فِي رِحْلَتِها، ولَكِنْ قَلْبُ «حَسن» أحسَّ بِٱلخَطرِ، ونَظَرَ تجاهَ السَّفينَةِ البَعيدَةِ فَتزايَدَ إحْساسهُ بِٱلخَطَرِ وتضاعَف.

* * *

وكانَ «حَسن» مُحقًّا فِي قَلقِهِ وخَوفِهِ.. فَلَمْ تَكُنْ تِلكَ السَّفينَةُ غَيرَ سَفينَةِ القُرْصانِ الأسْودِ وعصابَتِهِ، بعْدَ أنْ أنزلُوا عَلَمَها، وٱخْتَفى أغْلَبهُمْ فِي قَلْبِها، حَتَّى لا يُثيرُوا الشَّكَّ فيهِم.

فَعِنْدَما غادَرَ القُرْصانُ الأسْودُ وعِصابتهُ المِيناءَ، كانُوا قَدْ كَمنُوا قَريباً يَنْتظرونَ فرصةً مُناسِبةً لِخَطْفِ «شيريهان». وبَعْدَ أنْ وصلَ الأميرُ «عز الدِّين» وخَطبَها، قرَّرَ القَراصِنةُ خَطْفها فِي البَحْرِ، عِنْدَ سَفَرِها للِّحاقِ بِخطيبِها. ولِذَلِكَ طاردَ القَراصِنةُ سَفينَةَ الأميرِ عَنْ بُعْدٍ، إنْتظاراً لِلَّحْظةِ المُناسِبةِ لِيَشنُّوا هُجومَهُمْ عَلَى سَفينَةِ الأمير.

وكانَ ظلامُ تِلكَ اللَّيْلةِ حَالِكاً، فَلا قمرَ ولا نُجومَ فِي السَّماءِ، كَما كانَ سَطْحُ البَحْرِ معتماً لا يبينُ مِنْه شَيْءٌ. وأخذَتِ

الـرِّيـاحُ تهبُّ بِقـوَّةٍ، فيَصـدرُ عَنْهـا زَفيـرٌ وصَفيـرٌ، وبَـدأ البَحْـرُ يضْـطرِبُ، فـآرْتفعَتْ أمـواجُـهُ، وظهَـرَ أنّ هُنـاكَ عـاصِفَـةً فِي الطّريق.

قـالَ القُرْصـانُ الأسْودُ بـآبْتِهاجٍ: «هـا قَدْ جـاءَتِ اللَّحْظةُ المُناسِبةُ لِشنِّ هُجومِنا، فَلَنْ يَحسَّ بَحارَةُ سَفينَةِ الأميرِ وضبَّاطُها بآقترابنا بِسبَبِ العاصِفَةِ والظَّلام».

وآنْتظرَ القَراصِنَـةُ قَلِيلاً إلَى أن آشْتـدَّتِ العاصِفَـةُ، فَزادُوا مِنْ سُـرعَتِهِمْ، حتَّى لَحِقوا بِسفينَـةِ الأميرِ، بِـدُونِ أنْ يحِسَّ أحَدٌ بآقْترابِهِمْ.

وبَعْـدَ لَحْظةٍ دوت مَـدافِعُ القَـراصِنَةِ، وآنْهـالَتِ القـذائِفُ عَلَى سَفينَـةِ الأميرِ «عـز الدِّين»، فـآشْتعَلتِ النِّيـرانُ بسـطْحِهـا، كـأنّما آنْفَتحَتْ عَلَيْهـا أبْوابُ الجَحيم. وتَـدافـعَ بَحـارَةُ السَّفينـةِ وضبـاطُها فِي فَـزعٍ، وقدْ شلَّتهُم المُبـاغَتـةُ وأعمـاهُم الـظَّلام. فآضْطربَ نِظامهُمْ، وتفرَّقَ شَمْلهُمْ، وعِنْدَما حاوَلُوا المُقاومةَ كانَ الأوانُ قدْ فاتَ، فَقـدْ مالَتِ السَّفينـةُ عَلَى جَنبِها وبـدأتْ تغْرقُ، والنَّارُ ممسكةٌ بِها مِنْ كُلِّ أرْكانِها.

وآنـدفَعَ القَـراصِنَـةُ نَحْـوَ سَفينَـةِ الأميـرِ حـامِلينَ سُيـوفَهُمْ وبلطَهُمْ وهُمْ يَصرخونَ فِي توحُّشٍ، وكلٌّ من صـادَفَهُمْ أطاحُـوا بِهِ وقَتَلوهُ، أوْ ألقُوهُ فِي البَحْر.

وكانَتْ «شيريهان» وأخوها «حَسن» واقِفَيْنَ فِي فَزعٍ، وقـدْ أدْرَكا سرَّ ما يَحْدثُ، كَمَا عَلِما أنَّ السَّفينَـةَ الَّتي كَانَتْ تـطارِدهُمْ عَلَى البُعْدِ ما هِيَ إلاّ سَفينَةُ قَراصِنَةٍ، يَقودُها القُرْصانُ الأسْود.

وأمْسكَ «حَسن» سَيْفاً ثَقيلاً، لِيُدافِعَ بِهِ عَنْ أختِـهِ، وتلقَّى أولَ القـراصِنَةِ فصـرَعَهُ بـالسَّيْفِ، ثمَّ آحْتالَ عَلَى الآخـرِ ودفَعَـهُ بِسنِّ سَيْفـهِ فألْقـاهُ فِي البَحْر. وآنـدفَـعَ القُـرْصـانُ الأسْـودُ نَحـوَ «حَسن» غاضباً، وبِضربَةٍ واحِـدَةٍ مِنْ سَيْفِهِ أطـاحَ بِسَيْفِ «حَسَن» فِي البَحْرِ، ثمَّ ضربَهُ بِرأسِهِ ضربةً قَويّةً فترنَّـحَ «حَسن»، وغامَتْ عَيْناهُ، وسقَطَ فِي البَحْرِ فاقِدَ الوعي.

صرخَتْ «شيريهان» فِي فَزعٍ عَلَى أخِيهـا، وأخَذَتْ تَبْكي وهِيَ بِلاَ حِيلَةٍ ولا قُوَّةٍ، فآنْدفَـعَ إلَيْها القُـرْصانُ الأسْـودُ وحَملَها فَوْقَ كتفِهِ وقفزَ بِها إلَى سَفينَتِه.

وفِي الحـالِ إبْتعَدتْ سَفينَـةُ القراصِنَـةِ بَعْدَ أنِ آخْتـطَفتْ «شيريهان». أمَّا سَفينَةُ الأميـرِ فَقَدْ غَـرِقتْ بِكُلِّ مَنْ فِيهـا، ما بَيْنَ

9605
7489

قَتيلٍ وجَريحٍ . . فآبْتلَعَهُم اليَمُّ فِي دَقائِقَ قَليلَةٍ، وآنقضَّتِ الأسْماكُ المُتوحِّشةُ تَلْتَهِمُ مَنْ بَقي مِنْهُم حيًّا. ولَمْ يبقَ عَلَى سَطْحِ الماءِ فِي مكانِ المَعْركةِ، غَيرَ بقعَةٍ مِنَ الخَشَبِ المُحطَّمِ مكانَ السَّفينَةِ الغَريقَة.

أمَّا سَفينَةُ القَراصِنَةِ فآبْتَعدَتْ فِي الظَّلامِ، حتَّى غابَتْ عَنِ الأنْظار.

* * *

أخذَ «حَسن» يَغوصُ بِبُطْءٍ فِي الماءِ وهُوَ فاقِدُ الوعْيِ لا يحُسُّ حَوْلَهُ بِشَيْءٍ، وآنْدفَعَ مِنْ قَلْبِ الماءِ دُلفينٌ صَغيرٌ بِسُرْعَةٍ كَبيرَةٍ مُقْترِباً مِنْ «حَسَن»، فَرفَعَهُ فَوْقَ بَدنِهِ، وصَعِدَ بِهِ لِأعْلَى ومدَّدهُ فوْقَ سَطْحِ الماءِ، وأخذَ يَضربهُ ضَرباتٍ خَفيفَةً حَتَّى آنْتبهَ «حَسن» مِنْ إغْمائهِ وأفَاق.

وتَلفَّتَ حَسَن حَوْلَهُ فَتذكَّرَ ما حَدثَ، وشاهَدَ الدُّلفينَ الصَّغيرَ يَسْبحُ حَولَهُ فِي دائِرةٍ، فَتعرَّف عَلَيْهِ، وعرفَ أنَّهُ الدُّلفينُ الَّذي أنْقذَهُ مِنَ المَوْتِ، فربتَ عَلَيْهِ شاكِراً وقالَ: «شُكراً لكَ أيُّها الصَّديقُ الوفي».

فـأطلقَ الدُّلفينُ صِيـاحاً سَعِيـداً. وآمْتـلأتْ عَيْنـا «حَسن» بِآلدُّمُوعِ وقالَ: «لَقَدِ آختطَفَ القَـراصِنَةُ أُخْتي، ولا أَدْري كَيْفَ سـأنقذُهـا أوْ ألْحقُ بِسَفينَـةِ القَـراصِنـة». أطْلقَ الـدُّلفينُ صَيْحـةً أُخْرى، كأنّهُ ينبِّهُ «حَسن» إلَى شَيْءٍ غابَ عَنْهُ، ثُمَّ غـاصَ تَحْتَ الماءِ ورفَعَ «حَسَن» فَوقَ ظَهْرِهِ، وآنْدَفَعَ فِي أثرِ سَفينَةِ القَراصِنَةِ، فآبْتَهجَ «حَسَن» وهتَفَ: «يا لَهُ مِن حَلٍّ لَمْ يخطُرْ بِبـالِ إنْسانٍ.. شُكْراً لكَ مرَّة أُخْرَى أيُّها الدُّلفينُ الصَّديق».

* * *

وصَلَتْ سَفِينَةُ القَراصِنَة إلَى شاطِئِ خَليجٍ مُتعرِّجٍ، تكثرُ فِيهِ الصُّخورُ الحادَّةُ تَحتَ سَطحِ الماءِ، مِمَّا يَمْنـعُ أيَّ سَفينَةٍ مِنَ الاقْتِرابِ مِنْهُ، خَشْيَةَ تَحطُّمِهـا. ولَكِنَّ القَراصِنـةَ كانُـوا يَعْرِفُـونَ المَكانَ جَيِّداً، ويَحْفَظُونَ مَكانَ كُلِّ صَخْرَةٍ فِيهِ، فَيسْهلُ دُخولهُمْ إلَى الخَليجِ وخُروجهُمْ مِنْهُ بِواسِـطَةِ طَريقٍ ضيِّقٍ خَفيٍّ لا تُـوجَدُ صُخورٌ فِي قاعِهِ، فَتَعبُرُهُ سَفينَتُهُمْ فِي أمانٍ.

وبِآلقربِ مِن الشَّاطِئِ قَلْعَةٌ ضَخْمةٌ لِلْقَراصِنَةِ، لَها أسْـوارٌ كَبيـرَةٌ مِنَ الصَّخْـرِ، وأبْـوابٌ مِنَ خشَبِ البلُّوطِ، يَسْتَحيـلُ

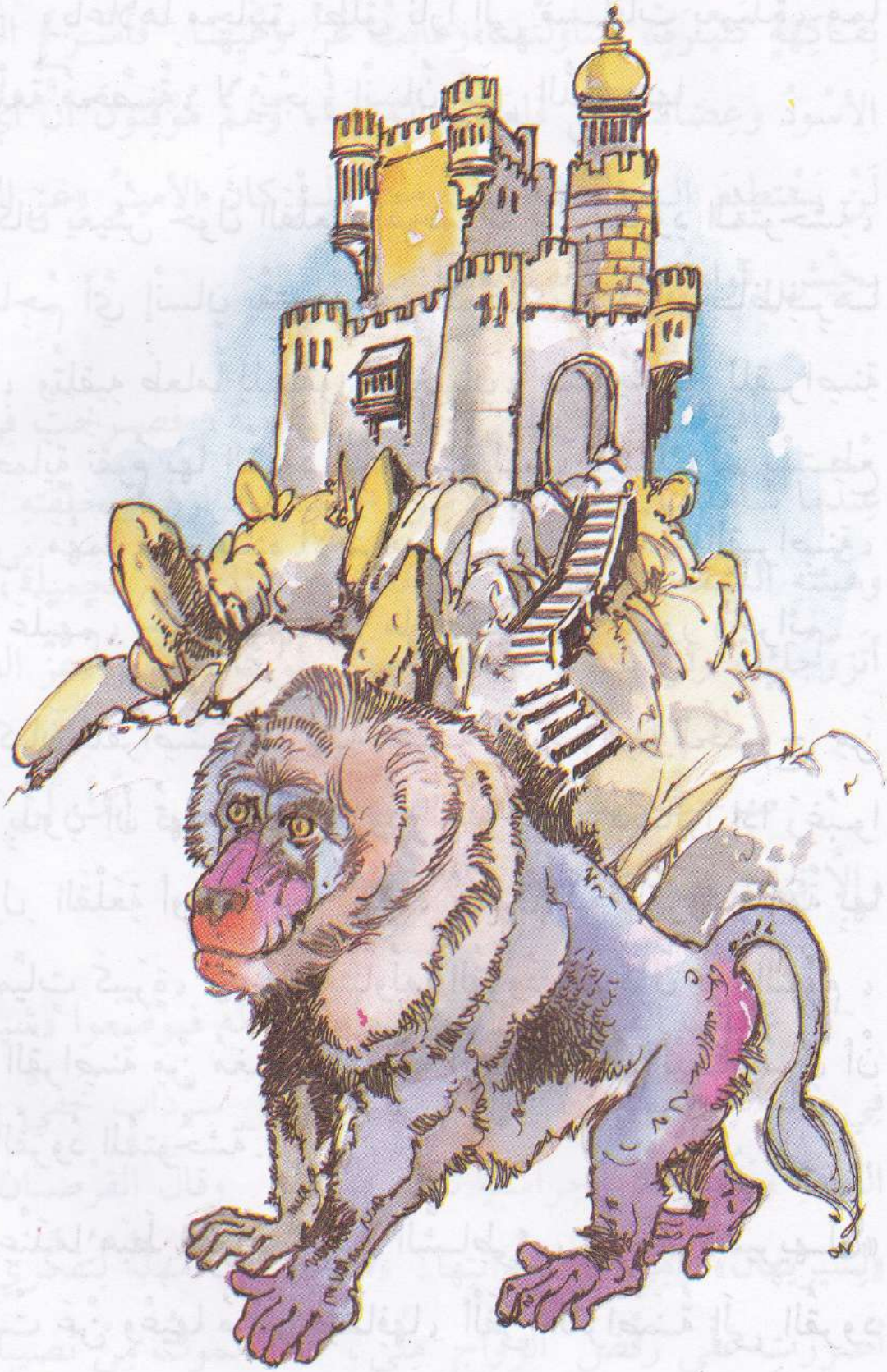

آخْتِراقُها. وبأعْلاها مَجانيقُ تطلقُ ناراً إِلَى مَسافاتٍ بَعيدَةٍ، مِمَّا جَعلَها قَلْعةً مُحصَّنةً، لا يَجْرؤُ إنْسانٌ عَلَى الدُّنوِّ مِنْها.

وكانَ يَعيشُ حَوْلَ القَلْعةِ، مَجْمُوعةٌ مِن القُرودِ المُتوحِّشةِ، الَّتي تُهاجِمُ أيَّ إنْسانٍ يَقْتَرِبُ مِنَ المَكانِ، فَتمزِّقهُ بِأَظافِرِها وأسْنانِها، وتُلقيهِ طَعاماً لِلصُّقورِ والغِرْبانِ، مِمَّا يُشَكِّلُ لِلقراصِنةِ أفْضلَ حِمايَةٍ تَقومُ بِها القُرودُ المُتوحِّشةُ لَهُمْ، ولِذلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أيُّ جَيْشٍ مَهْما كانَ عَددهُ الاقْترابَ مِنْ أسْوارِ قَلْعَةِ القَراصِنةِ، لِلقبْضِ عَلَيْهِمْ، جَزاءً لَهُمْ عَلَى ما آرْتَكبُوهُ مِنْ شُرورٍ وجَرائِم.

وكانَ لِلقراصِنَةِ طَريقَةٌ خَبيثَةٌ لِلدُّخولِ والخُروجِ مِنَ القَلْعَةِ، بِدُونِ أنْ تُهاجِمَهمُ القُرودُ المُتَوَحِّشة. فَكانُوا إذا رَغبُوا فِي دُخولِ القَلْعَةِ أو الخُروجِ مِنْها، يُلقونَ إِلَى القُرودِ فاكِهَةً بِها مُنوِّمٌ بَكميَّاتٍ كَبيرَةٍ، وعِنْدَما يَتَناولُها القُرودُ يغرقُونَ فِي النَّوْمِ، فَيَتمكَّنُ القَراصِنَةُ مِنْ مُغادَرةِ القَلْعةِ أو الدُّخولِ إِلَيْها بِدُونِ أنْ تؤذيَهُم القُرودُ المُتوحِّشة.

وعِنْدَما هبَطَ القَراصِنَةُ إِلَى الشَّاطِئِ، ومَعَهُمْ «شيريهان» الَّتي غابَتْ عَنْ وعْيِها مُنْذُ آخْتِطافِها، ألْقَى القَراصِنَةُ إِلَى القُرودِ

بِفاكِهةٍ كَثيرَةٍ، فَتناولَتْها وغابَتْ عَنْ وَعْيِها. فأسْرَعَ القُرْصانُ الأسْودُ وعِصابتهُ إلَى قَلعَتهمُ المَنِيعَةِ، وهُمْ مُوقِنونَ أنَّ أيَّ إنْسانٍ لَنْ يَسْتطيعَ الوُصولَ إلَيْهِمْ، حتَّى لَوْ كانَ الأميرُ «عز الدِّين»، بِجَيْشٍ قوامهُ ألْفُ ألفِ مُقاتِلٍ.

وأفاقَتْ «شيريهان» داخِلَ القَلْعةِ، فَصرخَتْ فِي رُعْبٍ عِنْدَما شاهَدتِ القُرْصانَ الأسْودَ جالِساً بِجوارِها بِخلقَتهِ القَبيحَةِ وهَيْئتهِ البَشِعَةِ، وقالَ لَها: «لا تَخْشَيْ شَيْئاً أيّتُها الجَميلَةُ، فَسَوْفَ أتَزوّجُكِ، ولَنْ يَمْنَعني إنْسانٌ، حتَّى لَوْ كانَ الأميرَ «عزّ الدِّين»».

صَرخَتْ «شيريهان»: «أيُّها المُتَوحِّشُ، إنَّكَ لَنْ تَلمسَني وإلاَّ قَتلْتُ نَفْسِي».

غَضِبَ القُرْصانُ الأسْودُ، وأمرَ رِجالَهُ فوضَعوا «شيريهان» فِي زِنْزانَةٍ ضيِّقةٍ، لا نَوافِذَ لَها، داخِلَ سِرْدابٍ خَفيٍّ بِأَسْفلِ القَلْعةِ ويَقُومُ عَلَى حِراسَتهِ ثلاثَةُ قَراصِنَةٍ. وقالَ القُرْصانُ الأسْودُ «لِشيريهان» وهِيَ فِي زِنْزانَتِها: «سأُعْطيكِ مُهلةً لِتُفكِّري، فإنْ أصررْتِ عَلَى رَفْضِ الزوّاجِ مِنِّي، كانَ المَوْتُ مِنْ نَصيبِك».

فأَجْهشَتْ «شيريهـان» بآلبُكـاءِ، وهِيَ لا تَدْري مـا تَفْعلهُ، وزادَ بكاؤها عِنْدَما تذكَّرتْ أخـاها «حَسَن»، وظنَّتـهُ قَدْ غَـرقَ مَعَ الباقين.

* * *

وصلَ «حَسَن» إِلَى شاطِئِ قَلْعةِ القَراصِنَةِ وقْتَ الغُروبِ، وآخْتفَى الدُّلفينُ الَّذي أوصَلَهُ إِلَى المَكانِ وعادَ إِلَى البَحْر.

وآقْتـربَ «حَسن» محاذِراً مِنَ الشَّـاطِئِ ، وشـاهَـدَ القَلْعـةَ الحَصينَةَ، فَعرِفَ أنَّ القَراصِنةَ يَحْتَمون فِيها، ويَسْتحيلُ عَلَى أيّ إِنْسانٍ الاقْتِرابُ مِنْها. ثُمَّ شاهَدَ القُرودَ المُتوحِّشةَ، وهِيَ تتقـاتَلُ مَـع بَعْضِهـا البَعْض فِي تَـوحُّش، بَعْـدَ أنْ أفـاقَتْ مِنَ المُنـوِّمِ، فَتراجَعَ «حَسن» خشيةَ أن تَراهُ القُرودُ فَتمزِّقَهُ بِأظـافِرِهـا وأسْنانِهـا الرَّهيبَةِ، وراقَبَ القُرودَ فِي قِتالِهـا الوحْشيِّ، وشـاهَدَ عَـدداً مِنْها يَسْقُطُ صَرِيعاً.

وعِنْدَما حـلَّ اللَّيْلُ تَـوارَى «حَسَن» فِي الظَّلامِ، وآقْتـربَ مِنْ أحـدِ القُرودِ القَتيلَةِ، فـأخْرجَ سَكينَـهُ الَّتي كانَ يَحْتفِظُ بِهـا، وآنْتـزَعَ جلدَ القردِ الميِّتِ فِي مَهـارَةٍ، ثُمَّ آسْتترَ بِـهِ، وسارَ عَلَى أرْبعٍ كأنّه أحَدُ القُرود.

وكـانَتِ القُرودُ مُتْعبـةً مِن كثْـرَةِ قَتـالِهـا، فَتـركَتْ «حَسَن» وشـأْنَهُ، ولَمْ يُحـاوِلْ أحَدُهـا آعْتِراضَـهُ، كَما أنّهـا آطْمأَنّتْ إلَيْـه وظَنَّتْه واحِداً مِنْها.

إقْتَرَبَ «حَسَن» مِنْ أسْوارِ القَلْعَةِ الحَصينَةِ، وكانَ يَسْتحيلُ عَلَيْه دُخولُهـا مِنْ أيِّ فُرْجـةٍ، فأبْـوابُها مُصفَّحـةٌ ونَوافِـذُها عـالِيةٌ وأسْوارُها لا يُمْكنُ آخْتِراقُها.

ودارَ «حَسن» حَوْلَ القَلْعَةِ فَشاهَدَ عَدداً مِنَ الأحْجارِ النَّاتِئةِ فِي جِـدارِها، وَكـانَ ماهِـراً فِي التَّسلُّقِ فألْقَى جِلدَ القِـردِ عَنْـهُ، وتَسلَّقَ الأحْجـارَ النَّاتِئـةَ حتَّى وصَـلَ إلَى نِهـايَـةِ الأسْـوارِ، فَقفـزَ داخِلَ القَلْعةِ، ولَمْ يَكُنْ بِها أحَدٌ لِلْحِـراسَةِ، فَقَـدْ كانَ القَـراصِنَةُ آمنِينَ إلَى آسْتِحَالَةِ وُصُولِ إنْسَانٍ وَتَسَلُّقِ الأَسْوَارِ.

وهَبطَ «حَسن» مُحاذِراً إلَى داخِلِ القَلْعةِ، فَسمِعَ أصْـواتَ القَراصِنَةِ وهُمْ يأْكُلونَ ويَشْربُونَ فِي سُرورٍ، ثمَّ سَمِعهُمْ يَتحدَّثُونَ عَنْ رفْضِ «شيـريهـان» الـزّواجَ مِنْ زعيمِهِمْ، وكَيْفَ سَجنَهـا القُـرْصـانُ الأسْـودُ فِي حُجْـرَةٍ لا نَـوافِـذَ لَهـا فِي سِـرْداب خَفيٍّ بِأسْفَلِ القَلْعَةِ.. كَما شاهَدَ بَعْضَ القَراصِنَةِ يَحْقِنُونَ كَميَّةً كَبيـرَةً

مِنَ الفاكِهَةِ بِآلْمنوم ، آسْتِعْداداً لإلقائِها إِلَى القُرودِ المُتوحِّشةِ، لِيَتَمَكَّنَ القَراصِنَةُ مِنَ الذَّهابِ لِسَفينَتِهِمْ، وجَلْبِ ما آسْتَولُوا عَليْه إِلَى القَلْعَة.

واصَلَ «حَسن» تَسلُّلَهُ داخِلَ القَلْعةِ، وكانَ يأملُ أنْ يَعْثرَ عَلَى السِّرْدابِ الَّذي تُوجَدُ فِيهِ أختهُ، فَيَتمكَّنَ مِنْ إخْراجِها مِنْهُ، والهَربِ مَعَها.

وشاهَدَ «حَسَن» أحدَ القَراصِنةِ، يَحْمِلُ بَعْضَ الفاكِهَةِ والطَّعامِ وهُوَ يَقولُ لِزُملائِهِ: «سَأَحْمِلُ هَذا الطَّعامَ إِلَى السَّجينَةِ، فَهَذِهِ هِيَ أوامِرُ الزَّعيم».

إِخْتَفى «حَسن» كَيْ لا يَراهُ القُرْصانُ، وتَسلَّلَ خَلْفَهُ بِخِفَّةٍ. وهبطَ القُرْصانُ إِلَى السِّرْدابِ الَّذي كانَ يُؤدِّي إِلَيْهِ بابٌ خَفِيٌّ فِي جِدارِ القَلْعة.

وتَوقَّفَ القُرْصانُ أمامَ زِنْزانةِ «شيريهان»، وأعْطَى الحُرَّاسَ الثَّلاثةَ الطَّعامَ، فَفتحَ أحدُهُمْ بابَ الزِنْزانَةِ ووضَعَ الطَّعامَ بِدَاخِلِها ثُمَّ غادَرَها وأعادَ إغْلاقَها.

تنفَّسَ «حَسن» فِي ٱرْتِياحٍ بَعْدَ أنْ عَرفَ مكانَ أُخْتهِ، وفكَّرَ فِي حِيلَةٍ يَتغلَّبُ بِها عَلَى الحُرّاسِ الثَّلاثةِ، ويَحصلُ مِنْهمْ عَلَى مَفاتيحِ الزِّنْزانَة.

أَلْقَى «حَسن» بِحَصاةٍ صَغيرَةٍ داخِلَ السِّرْدابِ فأصابَتْ وجْهَ أحدِ الحُرّاسِ الثَّلاثةِ، فَركِبَه الغَضَبُ وقالَ: «مِنْ أيْنَ أتَتْ هَذِهِ الحَصاةُ؟» وغادَرَ مَكانَهُ، وٱقْتَرَبَ مِنْ نِهايَةِ السِّرْدابِ المُظْلمِ، وفَجْأةً قفزَ فَوقَهُ «حَسن» وهُوَ مُمْسِكٌ بِمِطرقةٍ ثَقيلَةٍ، فخبَطَ بِها رأسَ الحارِسِ بِقُوَّةٍ، فَسقَطَ الحارِسُ فاقِدَ الوَعْي. وجَرَّه «حَسَن» إِلَى أحَدِ الأرْكانِ، وألْقَى حَصاةً أُخْرَى أصابَتِ الحارِسَ الثَّاني، فَتعجَّبَ وقالَ: «مِنْ أيْنَ يأْتي هَذا الحَصَى، ومَنِ الَّذي يُلقيهِ هُنا؟» وٱقْتَرَبَ مِنْ مَكانِ زَميلِهِ، فأصابَهُ نَفسُ ما أصابَ الحارِسَ الأولَ، ومدَّدهُ «حَسن» قَريباً مِنْ رَفيقه.

وكانَ الحارِسُ الثَّالِثُ جالِساً مَشْغولاً بِٱلْتِهامِ الطَّعامِ، وهُوَ يَدْعُو زَميلَيْه لِيأْتِيا ويُشارِكاهُ، فٱقْتَرَبَ «حَسَن» مِنْهُ مُحاذِراً، وقَبْلَ أنْ يَهْوِيَ بِٱلْمِطْرقةِ فَوقَ رأسِ الحارِسِ إِصْطَدمَتْ قَدمُهُ بِٱلمنضَدةِ، فٱلْتفَتَ الحارِسُ مُنْدَهِشاً، وتَحاشَى ضربةَ «حَسن»،

ثُمّ قفزَ نَحوَهُ وأمْسكَهُ مِنْ رَقبتِهِ فِي قَسْوَةٍ، وأخذَ يَضْغَطُ عَلَيْها بِشِدَّةٍ، فأحسَّ «حَسن» أنّه يكادُ يَختنِق.

صوَّبَ «حَسَن» بِقدمِهِ ضَربَةً قَوِيّةً إِلَى ساقِ القُرْصانِ، فَصرَخَ القُرْصانُ وأفْلتَ رقْبةَ «حَسَن» وآنْحَنى لِيُمْسِكَ بِقدَمِهِ مُتألِّماً، وآنْتهزَ «حَسَن» الفُرصَةَ وآختطفَ المِطْرقَةَ وخَبطَ بِها القُرْصانَ فَوقَ رأسِهِ، فَجحظَتْ عَيْناهُ، وسقَطَ فاقِدَ الوَعْي.

دسَّ «حَسَن» يَدَه فِي جَيْبِ القُرْصانِ بَحْثاً عَنْ مَفاتيحِ الزِّنْزانةِ فَعَثَرَ عَلَيْها، وفَتحَ بابَها فَشاهَدَ أُختَهُ بِداخِلِها وهِيَ تَبْكي، وقدْ أخْفَت وجْهَها بِيَديْها، بِدُونِ أن تأكلَ أو تَشْرب.

ولَمْ تُصدِّقْ «شيريهان» عَيْنَيْها عِنْدَما شاهَدتْ أخاها، وظنَّت نَفْسَها فِي حُلمٍ بعْدَ آعْتِقادِها أنّهُ مات. ولَكنَّ «حَسَن» قصَّ عَلَيْها كَيْفَ أنْقذَهُ الدُّلفينُ مِنَ الغَرقِ، وكَيفَ تَمكَّنَ مِنَ الوُصولِ إِلَى قَلْعَةِ القَراصِنَةِ ودُخولِهَا والتغلُّبِ عَلَى حُراسِ الزَنْزانة.

هَتفتْ «شيريهان» بِسُرورٍ: «الحَمدُ للهِ».

قـالَ «حسَنٌ»: «دَعينا نُغـادِرْ القَلْعـةَ فِي الحَـالِ، ونَنتهِـزْ فُرصةَ آنْشِغالِ القَراصِنَةِ بآلطَّعامِ والشَّرابِ قَبْلَ أنْ يَنْتَبِهوا إِلَى ما حَدث».

وقَبْـلَ أنْ يَتحرَّكَ مَـع أُخْتِهِ نَحْـوَ بابِ الـزِّنْـزانـةِ إِنْغلَقَ فِي وَجْهَيْهِما بِعُنْفٍ، وأطلَّ عَلَيْهما القُرْصـانُ الأسْودُ بِـوجْهِهِ القَبيـحِ مِنْ كـوةٍ صَغيـرَةٍ، وقـالَ لِحَسَن سـاخِـراً: «يَبْـدُو أنَّني جِئْتُ فِي الوَقْتِ المُناسبِ أيُّها الصَّبِيُّ لِأقْطعَ عَلَيكُما طَريقَ الهَربِ، فأنْتَ بِـرغْمِ سِنِّكَ الصَّغيـرَةِ واسِـعُ الحِيلَةِ شَـديـدُ المَكْـرِ. . وسَـوْفَ أتْركُكما داخِـلَ هَذِهِ الـزِّنْزانـةِ بِلاَ طَعـامٍ ولا شَرابٍ حتَّى تُـوافِقَ أُختُكَ عَلَى زَواجِها مِنِّي، فإمَّا أنْ أتَزوجَها، أوْ أتْـركُكما تَمـوتانِ جُوعاً وعَطَشاً».

وآبْتعَدَ القُرْصـانُ الأسْودُ، وآنْفَجـرتْ «شيريهـان» باكِيَـةً، ورَكِبَ الغَضَبُ «حسن» فصاحَ: «أيُّها القُرْصانُ الجَبانُ المُجْرِمُ. . دَعْنا نَخْرجْ مِنْ هُنا».

ولَكِنْ، لَمْ يَجاوبهُ غَيرُ صَدَى صَوْتِهِ، فِي الزِّنْزانَةِ الضيِّقة.

* * *

مَـرَّتْ أيّـامٌ عَـديـدَةٌ، و«حَسَن» وأُختـهُ مَحْبُـوسـانِ داخِـلَ الزِّنْزانَةِ بِلا طَعامٍ أو شَرابٍ، حتَّى أصـابَهُما الهُـزالُ والضَّعْفُ، وقالَتْ «شيريهان» فِي وَهنٍ: «لا فائِدَةَ يا أخي العَزيزُ. . إنَّ هَـذا القُـرْصانَ المُجْـرِمَ قاسي القَلْبِ، وسَـوْفَ يَدعنـا نَمـوتُ جُـوعـاً وعَطَشاً».

قـالَ «حَسن» بِتصميمٍ: «لَنْ أتْركَ هَـذا القُرْصـانَ المُجْرِمَ يَتزوجُكِ ولَوْ كانَ الثَّمَنُ حَياتَنا. . لَقَـدْ وَعدْتُ والِـدِي بِحمايَتـكِ وسأظَلُّ أحْميكِ إلَى أنْ أموت».

سَكتَتْ «شيـريهان» حَـزينَةً ثمَّ قـالَتْ: «لَـوْ كـانَ خَـطيبي الأميرُ «عز الدِّين» يَعْرِفُ أنّنا مَسْجونـانِ هُنا لأتَى بِجَيْشٍ عَـظيمٍ لإنْقاذِنا».

قالَ «حَسن»: «وكَيْفَ سَيَعْرِفُ، لا بُـدَّ أنّهُ سَيـظُنُّ أنّنا قَـدْ غَرِقْنا مَـع بَقيَّةِ رُكّـابِ السَّفينَةِ، ولَنْ يَعْـرِفَ إنْسانٌ أنّنـا أحْياءٌ فِي هَذا المَكانِ. . وإذَا أردنا النَّجاةَ مِمّا نَحنُ فيهِ، فَعَلَيْنـا أن نَعْتمِدَ عَلَى أنْفسِنا».

قالَتْ «شيريهان» حَزينَةً: «وماذَا بـإمْكانِنـا أنْ نَفْعلَ، إنَّهُمْ كثرَةٌ وهُمْ مُتوحِّشونَ، ولَنْ يُمكِنَنا مُقاومتهُمْ طَوِيلاً».

تـألَّقَتْ عَيْنا «حَسَن» وقـالَ: «إنْ كُنَّا لا نَسْتـطيعُ مُـواجَهـةَ هؤلاءِ الأشْرارِ بِالقوَّةِ، فَلْنُواجههُمْ بِالحِيلَة».

سألَتهُ أُختهُ: «كَيْفَ ذَلِكَ؟»

أجـابَهـا «حَسَن»: «لَقـدْ طَـرأتْ فِي ذِهْني فِكْـرَةٌ رائِعَـةٌ، سَوْفَ نَخْدَعُ القُرْصانَ الأسْـودَ ونُخْبرهُ بأَنَّكَ وافَقْتِ عَلَى زَواجِكِ مِنْـهُ، فَيفرجُ عنَّـا، ولا بُدَّ أنّـه سَيُقيمُ حَفلاً كَبيـراً لِعِصابَتـهِ بِهَذِهِ المُناسبَةِ، فَيأكُلونَ ويَشْرَبُونَ حتَّى الصَّباحِ، فإذَا أمْكنَنا أنْ نَضعَ مُنوِّماً فِي طَعامِهِمْ، مِمَّا يَضعونَهُ لِلقردَةِ المُتوحِّشةِ، فَسوْفَ يغـرقُ الجَميعُ فِي النَّومِ، فَيمكِنُنا الهرَبُ مِنَ القَلْعَة».

فَسألَتْهُ «شيـريهان»: «وكَيْفَ سنَستـطيعُ وضْـعَ المنوِّمِ فِي الطَّعامِ لِهَؤُلاءِ القَراصِنَةِ؟» أجابَها «حَسَن»: «دَعِي ذَلِكَ لِي».

ونادَى بِأعْلَى صَوْتهِ يَـطْلبُ القُرْصـانَ الأسْودَ، فَجـاءَهُ بَعْدَ قَليلٍ، فأخْبرَهُ «حَسن» أن أختَهُ وافَقَتْ عَلى الزَّواجِ مِنْهُ، فَفـرِحَ القُرْصانُ الأسْودُ، وأمرَ رِجالَهُ فأخْرَجُوا «حَسَن» و«شيريهـان» مِنَ الزِّنْزانةِ، وأخَذُوهما إِلَى حُجْرةٍ فاخِرَةٍ إِسْتِعْداداً لِلزواج.

وطَلبَ القُرْصانُ الأسْودُ مِنْ رِجالِهِ إقامةَ حَفْلٍ كَبيرٍ، يُقدِّمُ فِيهِ كُلَّ أنْواعِ الطَّعامِ والشَّرابِ، إبْتِهاجاً بِالزَّواج . فَتسلَّلَ «حَسن» إلَى المَطْبَخِ وآسْتَولَى عَلَى زُجاجةِ المُنوِّمِ الكَبيرَةِ، وغافَلَ القَراصِنةَ المُكلَّفينَ بِتَجْهيزِ الطَّعامِ، وأفْرَغَ المُنَوِّمَ بِداخِلِ قُدورِ الطَّعام.

وبَعْدَ وَقْتٍ نَضُجَ الطَّعامُ، وبَدأَ القَراصِنَةُ يأْكُلونَ فِي نَهمٍ، وأخذَتْ «شيريهان» تُغْرِي القُرْصانَ الأسْودَ بِالطَّعامِ، وهِيَ تتصنَّعُ الابْتِسامَ، فأكلَ حتَّى شبِعَ، ثمَّ شَعرَ بِثقلٍ فِي عَيْنيهِ، وبأنَّ الدُّنْيا تَغيبُ عَنْهُ. فَفهِمَ الخَديعَةَ الَّتي جازَتْ عَلَيْهِ، وحاوَلَ النُّهوضَ والقَبضَ عَلَى «شيريهان»، ولَكِنَّهُ سَقطَ عَلَى الأرْضِ مخدَّراً. وأخذَ بَقيَّةُ القَراصِنَةِ يَسقُطونَ فاقِدِي الوَعي مخدَّرينَ واحِداً تِلْوَ الآخرِ، حتَّى لَمْ يعُدْ فيهِمْ واحِدٌ يَدْري ما يَدُورُ حَوْلَهُ.

وآنْتَهزَ «حَسَن» الفُرصةَ، فأَحْضرَ عَدداً كَبيراً مِنَ الحِبالِ، وقامَ بِتقيِّيدِ القَراصِنةِ واحِداً بعْدَ الآخرِ، ثُمَّ ألْقاهُمْ داخِلَ الزنزاناتِ الضيِّقَةِ فِي السّرداب.

وعِنْدَما تمَّ لَهُ ذَلِكَ، أضاءَ وجهُهُ بِالسَّعادَةِ وهتفَ فِي سُرورٍ: «لَقدْ نَجَحْنا وقَبضْنا عَلَى كُلِّ القَراصِنَة».

قالَتْ «شيريهان» فِي سُرورٍ: «ما أشْجعَكَ يا أخي الصَّغيرُ، لا أدْري ماذا كُنْتُ سأفْعَلُ بِدونِكَ».

ضَحِكَ «حَسن» وقالَ: «إنَّني أتدرَّبُ حَتَّى أكونَ أميراً حِينَ أكْبرُ، والقبضُ عَلَى القراصِنَةِ وسَجْنُهِمْ أفضلُ تَدْريبٍ لِمَنْ يُريدُ أن يُصبحِ أميراً!»

قالَتْ «شيريهان» فِي قَلقٍ: «ولَكِنْ كَيْفَ سَنُغادِرُ هَذَا المَكانَ، فإنّنا نَجْهَلُ قِيادَةَ السُّفنِ، ولَنْ نَسْتطيعَ الإبْحارَ والعَوْدَةَ إلَى بِلادِنا بِسَفينَةِ القَراصِنَةِ، فَلَيْستْ لَنا خِبرَةٌ بِمَسالِكِ البِحارِ وخَرائِطها، ولا بِقيادَةِ السُّفُنِ وتَسيِّيرِها».

أصابَ الحُزْنُ قَلْبَ «حَسَن» وقالَ لِأُخْتِهِ مَهْموماً: «مَعَكِ حَقٌّ يا أُخْتي العَزيزَةُ.. سَوْفَ نَبْقَى سَجينَيْنِ فِي هَذا المَكانِ، ولَنْ نَتمكَّنَ مِنْ مُغادرتِهِ».

تَبلَّلتْ عَيْنا «شيريهان» بِالدُّموعِ، وصَعدَتْ إلَى سَطْحِ القَلْعَةِ، وكانَ الصَّباحُ يُوشِكُ عَلَى البُزوغِ، فَشاهَدَتْ فِي الأُفُقِ

البَعيدِ أشْرِعةَ سُفنٍ عَديدَةٍ، وهِيَ تعبرُ الخَليجَ مُتَّجِهةً نَحْوَ الشَّاطِئِ ، فَتعرَّفَتْ عَلَيْها وصاحَتْ غَيرَ مُصدِّقةٍ: «إنّها سُفنُ الأميرِ «عز الدِّين» . . كَيْفَ وصَلَتْ إلَى مَكانِنا، ومَنْ أرْشَدَها إلَيْنا؟»

ولَمْ يُصدِّقْ «حَسَن» عَيْنَيهِ عِنْدَما شاهَدَ السُّفُنَ، وقالَ لأُخْتِهِ: «يَجِبُ أنْ نُنوِّمَ القُرودَ المُتوحِّشةَ، حتَّى لا تُهاجِمَ الأميرَ ورِجالَهُ عِنْدَ هُبوطِهِمْ عَلَى الشَّاطِئِ . وأحْضرَ كَميّةً كَبيرَةً مِنَ الفاكِهَةِ المَوجُودَةِ داخِلَ القَلْعةِ، وحَقَنَها بِالمنوِّمِ ، ثُمَّ ألْقاها مِنْ فوقِ أسْوارِ القَلْعةِ، فأسْرعتِ القُرودُ بِالْتِقاطِها والتِهامِها، وبَعْدَ قَليلٍ غَرقَتْ فِي سُباتٍ عَميقٍ.

غادَرَ «حَسَن» وأُخْتُهُ القَلْعةَ، وأسْرَعا نَحْوَ الشَّاطِئِ ، وعِنْدَما شاهَدهُما الأميرُ «عز الدِّين» لَمْ يُصدِّقْ عَيْنَيهِ بِنجاتِهِما، فقصَّ عَلَيْهِ «حَسن» كُلَّ ما جَرَى لَهُما، وكَيْفَ تَمكَّنَ مِنَ التغلُّبِ عَلَى القَراصِنَةِ وسَجْنِهِمْ، فَنظَرَ إلَيْهِ الأميرُ بِإعْجابٍ شَديدٍ وقالَ لَهُ: «يا لَكَ مِنْ بَطَلٍ صَغير».

وسأَلَتْ «شيريهان» خَطيبَها الأميرَ كَيْفَ آهْتدَى إِلَى مَكانِها بِهَذِهِ السُّرْعَةِ فأَجابَها: «بَعْدَ أنْ رَحلتُ عَنْ مَدينَتِكُمْ بـأُسْبوعَيْنِ، رَاودَني القَلقُ عَلَيْكِ، فأَمَرْتُ رِجالي بِآلْعَودَةِ حتَّى أكُونَ مَعكِ فِي سَفرِكِ، ولَكِنَّني وَصَلْتُ مُتأَخِّراً، بَعْدَ أن رحلَتْ سَفينَتُكِ، فأَسْرَعْتُ خَلْفَكُمْ مُحاوِلاً اللَّحاقَ بِكُمْ. وفِي وسَطِ البَحْرِ إِلتَقطْنا أحدَ بَحَّارَتِنا مِمَّنْ كانُوا فِي سَفينَتكِ، وكانَ مُتعلِّقاً بِخَشبةٍ طافِيَةٍ بَعْدَ غَرقِ السَّفينَةِ فأَخْبرَنا بِما جَرَى، وأَرْشَدَنا إِلَى آتِّجاهِ سَفينَةِ القَراصِنَةِ، فأَسْرَعنا إِلَى هُنا، وكُدْنا نَهلكُ وتَتحطَّمُ سُفُننا بَيْنَ صُخُورِ هَذا الخَليجِ القاسِيَةِ، لَوْلاَ دُلفِينٌ صَغيرٌ أَرْشدَنا إِلَى عُبورِ الخَليجِ، مِنَ المَكانِ الَّذي تَنْعدِمُ فِيهِ الصُّخور».

ضَحِكَ «حَسَن» وقالَ: «يا لِهَذا الدُّلفينُ الصَّديقُ، إِنَّهُ يُقدِّمُ خَدماتِهِ فِي الوَقْتِ المُناسِبِ لِكُلِّ منْ يَحْتاجُها».

وأَسْرعَ جُنودُ الأميرِ فَقبَضوا عَلَى القُرْصانِ الأَسْودِ وعِصابتِهِ، وساقُوهُمْ إِلَى السُّفُنِ مُقيدين، لَتجرِي مُحاكمتُهُمْ فِي بِلادِ الأميرِ «عز الدِّين».

ورَفَعتْ سُفنُ الأميـرِ مَـراسيَهـا، وآنْـطَلقَتْ مُبْحِـرَةً إِلَى الشَّمـالِ.. وكانَ فِي وَدَاعِهـا الدُّلفينُ الصَّغيـرُ صَديقُ «حَسَن»، بَعْدَ أن أرْشَدها مرَّةً أُخْرَى إِلَى طَرِيقِ الخُروجِ مِنَ الخَليج.

وأطْلقَ الـدُّلفينُ الصَّغيرُ صَيْحـاتٍ حادَّةً مـودِّعـةً، بَعْـدَ أنِ آجْتـازتِ السُّفنُ مَنطقـةَ الصُّخورِ الحـادَّةِ، ثمَّ غابَ فِي البَحْـرِ، بَعْدَ أن آطْمأنَّ إِلَى أنَّهُ أدَّى عَملهُ عَلى أكْملِ وجْهٍ.

* * *

البطل الصغير

أسئلـــة :

١ ـ من هي شيريهان وإلى من كان أبوها يوّد تزويجها؟

٢ ـ أين توجَّه القرصان بعد أن رفض التاجر تزويجه ابنته؟

٣ ـ ماذا حصل لسفينة الأمير عند مغادرتها الشاطىء وعلى متنها شيريهان وأخوها؟

٤ ـ ما كان مصير حسن عند غرق السفينة؟

٥ ـ ما هي الحيلة التي اهتدى إليها حسن للخلاص من السجن؟

٦ ـ أوجز نهاية القصة وخلاص السجينَيْن.

اشـــرح الكلمات التالية :

متن السفينة ـ رجاحة ـ ابتاع ـ الخلجان ـ طرأت لي فكرة.

إعـــراب :

ـ ساقوهم إلى السُفُنِ مقيَّدين لتجريَ محاكمتُهم في بلادِ الأميرِ.

هذه السلسلة تتضمن :

١ ـ القصر المسحور
٢ ـ الفارس العظيم
٣ ـ القرصان والبهلوان
٤ ـ نور والأميرة بدور
٥ ـ أميرة البحر الفضيّ
٦ ـ جنيَّة الأمنيات الطيبة
٧ ـ كهرمان والأمير بهاء الدين
٨ ـ الحصان السحري
٩ ـ جبل السحاب
١٠ ـ الفارس المقنع

١١ ـ مغامرات عقلة الإصبع
١٢ ـ المرآة العجيبة
١٣ ـ الجوهرة الغالية
١٤ ـ البطل الصغير
١٥ ـ علاء الدين والحصان الطيّار
١٦ ـ الجزيرة المسحورة
١٧ ـ ذات الشعر الذهبي
١٨ ـ سعفان الجبار
١٩ ـ كنز الشاطر حسن
٢٠ ـ الحلم العجيب

١٤

البطلُ الصَّغير

● كان القرصانُ الأسودُ رجلاً دمويًّا شرِّيراً، مهنتُه السَّلبُ والنَّهبُ والقتلُ، وكانت «شيريهان» حَسناء بارِعة الجمالِ مخطوبةً للأمير عزِّ الدِّين وفي طريقها إليه للزَّواجِ منه. ولكنَّ القرصانَ الأسودَ تمكَّنَ من اختطافِها وحَبسَها داخلَ قلعةٍ رهيبةٍ يستحيلُ الهربُ منها.

ولمْ يكُنْ بِجوارِ «شيريهان» غير أخيها الصغير «حسن»، وكان عليه وحده إنقاذ أُختِه وتخليصها من القراصنةِ الأشرارِ، وهو لا يمتلكُ أيَّ سلاحٍ، فكيف تمكّنَ البطلُ الصغيرُ مِن إنجازِ مُهمَّتِهِ؟